

سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (23)

معاني الكلمات :

وقدما إلى ما عملوا: أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص.

هباء منثوراً: الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخل من الكوى.

المعنى الإجمالي

قوله تعالى {﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيراً لهم وتعبوا فيها، {﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ أي باطلاً مضمحلاً قد خسروه وحرّموا أجره وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسول المتبع لهم فيه.

ومعنى الآية وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ الخير والبر، فجعلناه باطلاً مضمحلاً لا ينفعهم كالهباء المنثور، وهو ما يُرى في ضوء الشمس من خفيف الغبار؛ وذلك أن العمل لا ينفع في الآخرة إلا إذا توفر في صاحبه: الإيمان بالله، والإخلاص له، والمتابعة لرسوله محمد، صلى الله عليه وسلم.

ومهما حاول الإنسان، على الرغم من أخبار القرآن الغيبية أن يتصور أهوال يوم القيامة، وما يتعرض له من المخاوف والأحداث الجسمية، فإنه لن يستطيع إدراك الواقع الرهيب الذي يقرع النفس ويهيب القلب، ويحير أرباب الفكر والعقول، لأن دور الملائكة الشداد في العذاب، وظهور الغمام، وتغير معالم الكون فوق كل تصور.

وحينئذ يكون المجرمون والظالمون في بأس شديد، وندم عظيم، ويرون أعمالهم أصبحت هَبَاءً مَنْثُورًا ويوم القيامة نأتى إلى ما عملوه من مظاهر البر والإحسان في الدنيا فنحبطه ونحرمهم ثوابه، لعدم إيمانهم الذى به تعتبر الأعمال وسيرون الملائكة حين الهول يوم الجزاء والحساب حين يقولون لهم: لا بشرى لكم اليوم بل فيه منعكم من كل خير، فإن ما قدمتم من عمل صالح في الدنيا صار هباء منثوراً. ويكون أهل الجنة في خير مقام، وأحسن مكان. لأنهم كانوا مخلصين لله ومتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والله تبارك وتعالى لا يحرم عبده ثمرة مجهوده، وإن كان كافراً، فإن ترك العبد الأسباب وتكاسل حرمه الله وإن كان مؤمناً. وفَرَّقَ بين عطاءات الربوبية التي تشمل المؤمنين والكافر والطائع والعاصي، وبين عطاءات الألوهية.

شروط قبول الأعمال الصالحة هي:

- 1- الإصابة: وهي الاتباع لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكل عمل ليس على هديه عليه الصلاة والسلام، فهو مردود على صاحبه، والدليل: قوله عليه الصلاة والسلام: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)، رواه البخاري
- 2- الإخلاص: أي جعل العمل خالصاً لله تعالى وحده، فلا يحسن عمله من أجل إطراء الناس، فواجب عليه أن يحسن عمله لله تعالى، فإن فعل الفعل للناس، فهو مشرك، والدليل: قول الله تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات)، رواه البخاري

أسباب القبول أو ما هي علامات المقبولين :

- 1- عدم الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة.
- 2- التوفيق إلى أعمال صالحة بعدها.
- 3- حب الطاعة وكره المعصية.
- 4- الرجاء وكثرة الدعاء.
- 5- التيسير للطاعة والإبعاد عن المعصية.
- 6- حب الصالحين وبغض أهل المعاصي.
- 7- كثرة الاستغفار.
- 8- المداومة على الأعمال الصالحة.

آثار وفوائد المداومة على الأعمال الصالحة

- 1- دوام اتصال القلب بخالقه-2- تعهد النفس عن الغفلة-
- 3- أنها سبب لمحبة الله تعالى للعبد-4- سبب للنجاة من الشدائد-5- سبب لخو الخطايا والذنوب-6- سبب لدخول الجنة-7- سبب لطهارة القلب من النفاق-8- سبب للتيسير في الحساب وتجاوز الله تعالى عن العبد.

الأسباب المحبطة للأعمال

- 1- الشرك بالله تعالى
- 2- الرياء والسمعة
- 3- التأني على الله
- 4- البدع والخرافات
- 5- انتهاك حرمت الله في الخلوة
- 6- التكذيب بالقدر
- 7- هجر الأخ المسلم
- 8- نشوز المرأة عن زوجها
- 9- عقوق الوالدين
- 10- أكل الحرام،
- 11- الكسب الحرام من الربا أو السرقات.

وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (76)



قوانين من سورة الفرقان الآية 23

تهدي ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

معدّها عزمي إبراهيم عزيز م

9- كثيراً من المسلمين الذين يظنون أن فاسقاً من الفساق، أو فاجراً من الفجار لا يمكن أن يهتدي (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) فلا تظنن مستقيماً يموت على استقامته؛ إلا إذا عصمه الله ومن عليه بذلك، ولا تظنن مذنباً وفاجراً يموت على فجوره، إن الله قد يتداركه برحمته: **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف:56]**.

10- البدعة التي إذا فعلها فاعل لم يشهد لها الشرع باعتبار، لم يكن لها سند وعمل من كتاب الله وسنة نبيه فيما يتعلق بأمر العبادة؛ فإنه عمل مردود. على أصحابها، يضرب بها وجوه أصحابها.

11- إذا دعا الكافر وقال: رب، اللهم اهديني، قد تقبل دعوته، الكافر إذا دعا صادقاً وقال: اللهم اهديني اللهم تب علي، اللهم أخرجني مما أنا فيه من الكفر بالله، صادقاً قد يجيب الله دعوته ويرحمه ويتوب عليه ويهديه سبحانه وتعالى. وهكذا العاصي.

12- إن الإنسان مهما عمل وقدم فإن عمله كله لا يؤدي شكر نعمة من النعم التي في جسده من سمع أو بصر أو نطق أو غيرها، ولا يقوم بشيء من حق الله تبارك وتعالى، فإن حقه فوق الوصف.

13- السلف الصالح يهتمون بقبول العمل أشد الاهتمام، حتى يكونوا في حالة خوف وإشفاق، قال الله عز وجل في وصف حالهم تلك: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَيْبٍ رَّاجِعُونَ} {أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَاقُونَ} المؤمنون**

وقد فسرهما النبي : بأخم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويحافون أن لا يتقبل منهم. وأثر عن علي رضي الله عنه أنه قال: (كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل. ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** (المائدة:27).

والله اعلم

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

الفوائد :

1- حبوط عمل المشركين وطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة.

2- ان الله لا يقيم لحسنات الكفار وزناً يوم القيامة .

3- الهباء: كائنات جسيمية دقيقة لا ترى إلا في أشعة الشمس المنحصرة في كوة ونحوها، تلوح كأنها سائحة في الهواء وهي أدق من الغبار.

4- العمل الصالح شجرة طيبة، تحتاج إلى سقاية ورعاية، حتى تنمو وتثبت، وتؤتي ثمارها، وإن أهم قضية نحتاجها أن نتعاهد أعمالنا الصالحة التي كنا نعملها، فنحافظ عليها، ونزيد عليها شيئاً فشيئاً. وهذه هي الاستقامة .

5- حذرنا الله عز وجل على لسان رسوله من كل ما يكون سبباً في إحباط أعمالنا الصالحة، وأخبرنا أن من هذه الأعمال ما يكون مخرجاً من الدين كالشرك بالله، ومنها ما يكون محبطاً للأعمال كالرياء والسمعة، وعقوق الوالدين، وهجر المسلم، ونشوز المرأة من زوجها، ولكن المخرج من هذه كلها التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، والتزام كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

6- أن الشرك بالله جل وعلا من أعظم الأسباب المحبطة للأعمال جميعاً، يقول الله جل وعلا: **وَمَنْ يَزِدْكَ مِنْكَ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة:217]**.

7- إن الله لا يقبل عملاً فيه شرك، مهما كان الإنسان صوّماً قواماً متصدقاً منفقاً، ما دام يفعل عملاً أو أمراً من أمور الشرك، فإن هذا كافٍ في إحباط العمل مهما بلغت درجته، ومهما علت منزلته، ومهما ظن به الناس الظنون.

8- يقول الله جل وعلا محذراً من المنة، ومحذراً من الإدلال، ومحذراً من تكرار ذكر المعروف على الذين يسدى إليهم: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى [البقرة:264]** فهذه الآية دلت على أن المن والأذية سبب لبطلان ثواب الصدقة،